تعريف التأويل لغة واصطلاحاً :-

- **التأويل في اللغة:** مأخوذ من الأول ، وهو الرجوع ، تقول آل الشيء يؤول أولاً ومالاً بمعنى رجع ، والتأويل على مصدر تفعيل من أول يؤول تأويلا ، ومعنى أول الكلام دبره وأوله وتأويله فسره.
- وقال الليث: ((التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه)).
- وقال الجوهري: ((التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء)).
- **أما التأويل في الاصطلاح:** فقد اختلفت أساليب العلماء في تعريفه أيضاً ، فهذا البغوي يقول:
- ((التأويل هو صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب من طريق الاستنباط)).
- وعرفه الطبرسي : بأنه ((رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر)).
- وقال ابن حزم الظاهري : ((التأويل نقل اللفظ عما اقتضاه ظاهره ، وعما وضع له في اللغة إلى معنى آخر، فإن كان نقله صح ببرهان وكان ناقله واجب الطاعة فهو حق ، وإن كان نقله بخلاف ذلك طرح ولم يلتفت إليه ، وحكم بذلك النقل إنه باطل)).
- وعرفه آخرون بأنه حمل الكلام على معنى غير المعنى الذي يقتضيه الظاهر بموجب دليل اقتضى ان يحمل على ذلك، ويخرج على ظاهره.

وقسم الراغب الاصفهاني التأويل إلى قسمين : تأويل منقاد وتأويل مستكره وعرّف التأويل المنقاد بأنه هو الذي لا يجافي منطق اللغة ، ولا ينأى عن دلالتها.

أما التأويل المستكره فهو يلوى فيه المفسر أو المؤول النص حتى يوافق هواه ويسير مع رغباته ، ويدعم مذاهبه واتجاهاته.

لو دققنا النظر في تعاريف التأويل السابقة لأتضح لنا أن التأويل عند معظم العلماء هو تفسير الآية بمعنى غير المعنى الذي يقتضيه ظاهرها بموجب دليل يقتضى صرف معنى ظاهر اللفظ إلى معنى آخر، وإلا كان التأويل فاسداً ، من أجل هذا فرق بعض العلماء بين التفسير والتأويل فقال الراغب الاصفهاني التفسير أعم من التأويل ، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها ،

وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل وأكثر ما يستعمل في الكتب الالهية . والتفسير يستعمل في الكتب وغيرها.

وبناء على هذا فأن كل تأويل تفسير، وليس كل تفسير تأويلا، ولهذا يقال تفسير القرآن ، ومن تفسيره ظاهر وباطن.

وذهب الماتريدي إلى أن التفسير خاص ببيان اللفظ الذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً بدليل مقطوع به ، والباطن إرجاع اللفظ المحتمل لمعان مختلفة إلى معنى واحد يختاره منها من غير دليل مقطوع به ، فقال: التفسير هو القطع بأن المراد من اللفظ هذا ، والشهادة على الله بأنه عنى باللفظ هذا ، فإن قام دليل مقطوع به فصحيح، وإلا فتفسير بالرأي ، وهو المنهى عنه، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله .

ويبدو لي ان الذي حمل القائلين بالفرق بين التأويل والتفسير على الذهاب إلى هذا المذهب هو ورود كلمة التأويل في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، فقد ذكر الله في هذه الآية ان من القرآن ما هو محكم، كالآيات التي ارست أصول العقيدة ، فهي مفهومة المعنى قاطعة الدلالة لا لبس في دلالة ألفاظها عليها ولا شبهة .

ومن القرآن ما هو متشابه والآيات المتشابهات أما ألا تكون في مستوى الادراك الإنساني وأما ان لا تكون في مستوى الادراك الانساني كالسمعيات والغيبيات التي اختص الله بعلمها ، فقد جاءت للوقوف عند مدلولاتها القريبة، ويجب التصديق بها ، ومثال على ذلك قول ﷻ ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[سورة الرحمن: ٢٧].

- وقوله ﷻ: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة طه: ٥].
- وقوله ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الحديد: ٤].

إلى غير ذلك من الآيات التي يصعب على الإنسان ادراك ماهيتها أو يستحيل عليه معرفتها كـــ"معرفة حقيقة الذات الإلهية وآيات قيام الساعة وآيات العلم بالغيب والروح ، والسبب في ذلك لأنها بطبيعتها فوق وسائل الادراك الانساني المحدود

وهذا ما عبر عنه ابن عباس ﷺ بالوجه الرابع من تقسيمه لتفسير القرآن الكريم حيث قال على ما نصه التفسير على أربعة أوجه وهي كالاتي:

١- وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢- وجه لا يعذر أحد بجهالته .

٣- وتفسير يعلمه العلماء خاصة.

٤- وتفسير لا يعلمه إلا الله.

أما الآيات المتشابهة التي هي في مستوى الادراك الانساني فقد لحقها التأويل وهو صرف اللفظ عن المعنى الظاهر إلى معنى آخر بدليل يؤيد ذلك ، أو بسبب يقتضي تأويل النص ، ومن الأمثلة على ذلك وهي كالاتي:

قوله ﷻ :﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[سورة المؤمنون: ٩١] . لذلك حذرنا الرسول ﷺ من هؤلاء فقال : ((فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)) [حديث متفق عليه في صحيح البخاري].، ولأن المتشابه الذي لا يصح الخوض فيه ما كان خارجاً عن طاقة العقل الانساني ومن ذلك ايضاً تأويل اليهود لليد في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٦٤]. بالنعمة لقول العرب لي عند فلان يد أي نعمة ومعروف، ولا يجوز أن تكون اليد ها هنا بمعنى النعمة ، لأنه قال "غلت أيديهم" معارضة عما قالوه فيها، وقد أول علماؤنا اليد بمعنى الغلبة والقهر والحفظ وهو كناية عن القدرة الالهية ، والمعية كناية عن العلم.

وبسبب هذا التأويل الباطل فيما يبدو فرق الاصوليون وبعض علماء التفسير بين التفسير والتأويل وأحاطوا التأويل المقبول لآيات الله بشروط تخرج صاحبها من تبعة هذا الزيغ والانحراف وأهم هذه الشروط ما يأتي :

الأول – أن يكون التأويل موافقاً لوضع اللغة وعرف الاستعمال، وكل تأويل يخرج عن هذا فليس بصحيح.

الثاني- أن يقوم الدليل على أن المراد بذلك اللفظ هو المعنى الذي حمل عليه إذا كان لا يستعمل كثيراً فيه.

الثالث-إذا كان التأويل بالقياس فلا بد أن يكون جلياً لا خفياً ، وقيل لا يجوز التأويل بالقياس أصلاً.

الرابع- إلا يكون المعنى المستنبط من الآية مخالفاً للكتاب والسنة فكل تأويل لا تتوفر فيه هذه الشروط يكون باطلاً والواقع أن العرف السائد بين علماء السلف هو أن التأويل له معنيان ، ويعبر عن ذلك ابن تيمية فيقول : ((أن التأويل في لفظ السلف له معنيان أحدهما تفسير الكلام وبيان معناه سواء وافق ظاهره أو خالفه فيكون التأويل والتفسير عند هؤلاء متقارباً أو مترادفاً ، وثانيهما هو نفس المراد بالكلام ، فإذا قيل طلعت الشمس فتأويل هذا نفس طلوعها)).

وهنالك بعض المفسرين سموا تفاسيرهم بأسماء لا تفرقة فيها بين التفسير والتأويل، فالزمخشري سمى تفسيره بـــ"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، والبيضاوي سمى تفسيره بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، والقاسمي سمى تفسيره محاسن التأويل.

ويتضح من هذا أن لفظي التأويل والتفسير مترادفان وان كلا منهما يكشف عن المعنى المراد لذلك عرف بعضهم التأويل بما عرف به التفسير ، فهذا أبو العباس أحمد بن يحيى حينما سأل عن معنى التـــأويل أجاب : أن التأويل والمعنى والتفسير واحد، وقال ابن فارس في كتابه الصحابي ((معاني العبارات التي يعبر بها عن الأشياء ترجع إلى ثلاثة : المعنى والتفسير والتأويل ، وهي وان اختلفت فالمقاصد بها متقاربة)).

وعلى هذا المعنى سار كثير من العلماء منذ الصدر الأول إلى عصرنا هذا وخاصة بالنسبة للقرآن الكريم ، فالنفس أميل إلى اعتبار المعنى والتفسير والتأويل شيئاً واحداً وان اختلفت في اللفظ لأنها تعني تفسير القرآن الكريم وكشف ما يحتويه من معان وأحكام.